

الإصدارات والنشاطات العلمية

صدر عن دار المأمون للنشر والتوزيع كتاب الدكتور مأمون فريز جرار بعنوان: "اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان"، ويمثّل هذا المصنف الجزء الثالث من كتاب: اللمعات المؤلّف، ويأتي هذا الجزء الثالث المستخلص من كتاب اللمعات متمما لجزئين سابقين مستخلصين من كتابي الكلمات والمكتوبات.

وكانت بداية هذا المشروع مقالات نشرها الدكتور مأمون جرار في جريدة الدستور الأردنية في شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٢ هجرية، ٢٠١١ ميلادية. واستمر في النشر أسبوعيا في يوم الجمعة حتى حين صدور هذا الجزء الثالث، أراد المؤلف بهذه السلسلة إقامة جسر اتصال برسائل النور تقريبا وتحبيبا واستفادة.

النشاطات العلمية:

نستهلها بقضية كثيرا ما شغلت المهتمين بالدراسات الأكاديمية، وهي مسألة اختصار أو تهذيب رسائل النور، فقد شغلت غير واحد من المهتمين؛ ولعلّ من أهمّ الشخصيات العلمية التي شغلها الموضوع أستاذنا الكبير محسن عبد الحميد، عايش الأستاذ محسن رسائل النور ترجمة وتعليقا وتصحيحا ودراسة وتدريساً منذ ثلث قرن على الأقل، ويحكم طول العناية بالرسائل وتنوعها راودته فكرة تهذيبها فكان المقال ثمرة هذه المحاولات.

حول تهذيب رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

أد. محسن عبد الحميد العراق

يقول الأستاذ النورسي: (إن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقاة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة الحكيمة الضرورية والتي لا تُسَمُّ القارئ أبداً)¹

هذا يعني أنه ليس فيه المصطلحات اللغوية، نحواً وصرفاً وبلاغة ولا مصطلحات العلوم العقلية المنطقية والكلامية والفلسفية، ولا تفاصيل المذاهب الفقهية والأصولية والمقاصدية، ولا الصوفية وطرقها، ولا الاستطرادات التاريخية ولا حوادث نزول الآيات ولا مقارنة الأديان وغيرها.

فالتفسير المعروفة ولاسيما القديمة مشحونة بعلوم كثيرة شكّلت أغطية سميكة أحاطت بكتاب الله الحكيم وحالت بينه وبين إيصال نوره ومقاصده ورؤيته الكونية والإنسانية ومقومات شرائعه إلى قلوب المسلمين لصياغتها صياغة ربانية.

كنت يوماً في ضيافة أحد مشاهير العلماء في كردستان العراق، وكان بين يديه تفسير البيضاوي يدرّس فيه تلميذه. ولما انتهى من درسه، سألتني: ما رأيك؟ قلت: سمعت كل شيء إلا تفسير القرآن الكريم، ثم شرحت له المنهج الصحيح في تفسير القرآن الكريم.

أما تفسير القرآن في رسائل النور فإنه يختلف اختلافاً جوهرياً عن التفسير السابقة وحتى المعاصرة في زمانه، لأنه تفسير ذاتي شهودي ينتقل من خلال شبكة من الآيات إلى معانيها المباشرة وإشارات المتنوعة وتجليات الأسماء الحسنى الإلهية حولها، ثم إلى الحديث عن تصميم الكون والحياة والمجتمع من خلال حركة الحضارة المعاصرة وصراعاتها مع الحقائق الفطرية ومأساة الإنسان المعاصر، مسلمين وغير مسلمين، الذين ابتعدوا كثيراً عن هداية خالقهم والعمل بشرائعه الحقّة والذين فصلهم الفصام النكد مع دينهم (ولا سيما المسلمين) وتاريخهم وحضارتهم ومحاولة إعادتهم عبر أجواء الآيات إلى حضن الموكب الإلهي الخالد بقيادة رسول الله الذي هو البرهان المبين والنور الساطع الذي جمع الله فيه أنوار انعكاسات الأسماء الحسنى، متوازنة مكتملة متعاقبة.

هذا التفسير النوري الذي جمع فيه الإمام النورسي معارف القرائن الثلاثة، المقروء والمنظور والناطق في سبيل إنقاذ البشرية جميعاً من الحياة المادية الموهلة التي يقودها الشيطان الرجيم لتخريب إيمانها ومنظومة قيمها وأنساقها الخالدة التي أقحمتها في حياة الضنك والفوضى والاضطراب والأمراض النفسية والتصرفات الحيوانية التي انتهت إلى الزعزعة الاجتماعية وفقدان راحة الضمير. وتناول النورسي

لموضوعات رسائله تناول موحد، متداخل بعضه مع الآخر، بنسيج واحد وأسلوب رائع، المقدمات فيه تقود إلى النتائج، لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر.

لقد عزمت في فترة سابقة أن أهدّب رسائل النور، كي تسهل قراءتها على القراء الذين لم يتخصصوا في مثل هذه الدراسات العميقة، من غير الصابرين على متابعة قصصها وأفكارها وأنوارها وفهم دقائق ما ورد فيها من تحليلات بارعة، كما فعلت قبل ذلك في تهذيب (روح المعاني) للعلامة أبي الثناء الألويسي و(منهاج السنة النبوية) للإمام ابن تيمية.

وعندما جئت للمرة الثانية إلى رسائل النور كي أسير على المنهج نفسه في تهذيبها لم أستطع للأسباب الآتية:

- لا يمكن حذف أي شيء منها، لأن الآيات التي يستشهد بها متداخلة في نسيج واحد وشرح متواصل، فيقتضي هذا التدخل في كلام الأستاذ النورسي إحداث خلل كامل في الألفاظ والمعاني ومضمون الرسائل.

- إن التفاسير السابقة بما إنها استعانت بعلوم عصرها عبر الاستشهاد بأراء العلماء في تفسير الآيات، خارج التركيز على معنى الآيات ومقاصدها، فإن المهذّب يستطيع أن يبعد كثيراً من الشروح والاستطرادات التي لا يتعلق بالمعاني الجوهرية للآيات الكريمة، وهذا الذي فعلته من قبل بتفسير الألويسي و(منهاج السنة النبوية)، وكانت النتيجة استخلاص خمسة أجزاء من ستة عشر جزءاً في الأول واستخلاص جزء واحد من عدة أجزاء في الثاني.

أما بالنسبة لرسائل النور فإن كل شرح فيها مقصود بذاته، فمن الخسارة أن تحذف فقرات أو صفحات من رسائل النور أو تختصر أو توجز، لأن هذه الرسائل تمشي مع حركة العصر وصراعاتها، وأوضاع المسلمين وتخلّفهم وتمزق أو اصر ملتهم. وتُقدّم شبكة من الحلول القرآنية النورانية في اتجاهات الحياة كلها، لتقويم أوضاع المسلمين وإرجاعهم إلى خط الاستقامة والربانية والعبودية الخالصة لخالقهم.

- إن شبكة الآيات القرآنية التي يستشهد بها النورسي بل يدير عليها الكلام كله، لا تستطيع أن تحذف منها آية واحدة، لأن كل آية في منظومة كلام النورسي موضوعة

بدقة لإخراج المعاني المتعاضدة المتسلسلة في الموقع الحقيقي الذي يجب أن توضع فيه.

- إن رسائل النور مستقلة عن بعضها البعض، كُتبت كل رسالة في زمانها المعين، وما أثيرت فيها من أسئلة موجهة إليه أو إلى الإسلام أو المسلمين، تبدأ من آية قرآنية أو مجموعة من الآيات، موضوعاتها متنوعة ترتبط بقصصها التمثيلية وتطبيقها كلمة كلمةً وجزءًا جزءًا على شخوصها الواقعية وأفكارها المستنبطة من وقائع الصراع المعاش عبر الاستدلال بالآيات القرآنية والأدلة العقلية والاستدلالات النفسية وتحليلها.

وقد تستطيع تهذيب بعض مقولاتها في جملة أو جملتين أو فقرة أو فقرتين بأسلوبه الخاص، ولكن سينتهي عملك إلى منظومة أسلوب النورسي والتصرف بأفكارها والذهاب بروعتها والتصرف بنسيجها المسبوك المعبر.

بما أن القرآن الكريم يكرر قصص الأنبياء وحوارات الدعوة والدعاة وإقامة الاستدلالات على مشاهد الأنفس والآفاق ووجود الخالق والوحدانية وغيرها بأساليب متنوعة، فإن الأستاذ النورسي في تتبع هذه الآيات يكرر في رسائل عدة ما يدور حول هذه الآيات وبأساليب متنوعة، يكمل بعضها البعض في روعة عرض تلك المشاهد والآثار بقلمه المعبر وخياله الخصب ومشاعره الجياشة التي تضرب على أوتار قلوب متتبعي قراءة الرسائل. فمحاولة تهذيب هذه الرسائل تؤدي إلى قطع أفكارها وتخريب تسلسلها وتنوع أساليب تعابيرها.

لو تتبعنا أجزاء رسائل النور واطلعت على حبكتها الفكرية، رسالة رسالة لظهر لك صدق ما انتهيت إليه سابقًا ولاحقًا، أنها لا يمكن تهذيبها، بل لابد من تركها بصورتها الواقعية، لأنها أفضل وأوضح وأفيد.

وهنا لتأييد رأيي أقدم تحليل عدد من رسائل النور ليقوم شاهدًا على ما أقول:

راجع مثلاً الكلمة الخامسة والعشرين التي خصصها الأستاذ للحديث عن المعجزات القرآنية، فإنه ضمنها كل ما يتعلق بإعجاز القرآن الكريم من حيث جزالة ألفاظه وفصاحة تراكيبه وإيجاز معانيها البليغة الدالة عليها في أجمع صورة وأبداع نسيج وأسبك أسلوب وأبرع بيان يضم خزينة هائلة من الإرشاد وإثبات العقائد وتقرير

الشرائع وتفصيل انعكاسات أسماء الله الحسنى على كل خلية من خلايا الطبيعة والحيوية بجامعة شاملة.

والحق أنك تستطيع أن تلخص ما يقول الأستاذ بأسلوبه الأخاذ الممتع في صفحات عدة، ولكنك بعملك هذا ستذهب -كما ذكرنا- بروعة الرسائل، وتسلب منها روح النورسي بين ثنايا سطورها وتوزيع أفكارها بتوازن مسبوك. وهذا يقوم دليلاً ساطعاً على أنك لا تستطيع أن تحافظ على ما أراده من الوصول في تدوين أفكاره بقلمه الذي ذاب فيه كيانه المشبع بآيات القرآن الكريم من خلال نبضات قلبه وجولات عقله ورقّة ما ينبعث منها من فكر دقيق ومنطق سديد وحركة متواصلة تدفع إلى العمل المنضبط الحكيم في طريق إحياء روح القرآن في نفوس المسلمين.

ثم إنك تستطيع أن تراجع (رسالة الاجتهاد) في الكلمة السابعة والعشرين لتعلم كيف صاغها الأستاذ بتفاصيلها مع أدلته عليها من غير أن ينقل آراء المجتهدين القدماء والمحدثين في الواقع الذي أصابه الغبش، بتركهم ضرورات الدين، والتوجه تزلفاً ونفاقاً إلى اجتهادات تفتقر إلى الأصول الشرعية ومقاصدها، تسوغ سياسات اللادينييين التي تبوّها لشرعنة انحرافاتهم وخروجهم على الأحكام الإلهية القاطعة من خلال فتاوى الدجالين الخيانية.

إن النورسي في هذه الرسالة الواقعية المدللة أراد أن يقطع الطريق على أزلام السلطة من وعاظ السلاطين قائلاً: إن اجتهادات الصحابة الذين كانوا يمثلون قمة الكمال الإنساني ومن تبعهم الذين استنبطوا تلك الاجتهادات من الضروريات الشرعية أصولها وقواعدها تكفي لهذا العصر وزيادة.

فلا أدري هل تهذب هذه الرسالة الرصينة المسبوكة والتي تشكل وحدة موضوعية واحدة؟ أقول: لا يمكن أن تتجزأ، لأنه يؤدي إلى تمزيق التسلسل المركز المترابط في عرض فكرته الفقهية.

وإن أردت رجعت قليلاً إلى الكلمة العشرين التي ينطلق فيها الأستاذ لمعالجة معجزات الأنبياء بتقديم الآية الكريمة ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام: ٥٩ ليتهاي بعد تحليلات دقيقة إلى أن تلك المعجزات لها نوع من الإشارة إلى خوارق التقدم العلمي والصناعي، وأهم العلوم البشرية وصناعاتها ضمن دائرة أن كتاب الله المعجز فيه جميع ما يلزم للسعادة الدنيوية والأخروية، كل حسب قيمته

وأهميته، ويستخلص من كل ذلك أن القرآن العظيم حكيمٌ يعطى لكل شيء قدره من المقام ويرى القرآن العظيم من ثمرات الغيب التقدم الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها.

فالقرآن إذن كلام من ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد. فتلك لمعة من الإعجاز القرآني تلمع في وجه معجزات الأنبياء.²

ثم اقرأ الكلمة الثالثة والعشرين: حيث ينطلق من قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^{النبي: ٤-٦} ويتعد عن التفسير الاصطلاحي كعادته ويدخل ذاتياً شهودياً مقاصدياً بتوجيه من أنوار انعكاسات الأسماء الحسنی في معالجة أوضاع الإنسان عندما يكون مؤمناً وعندما ينحدر إلى الكفر، إذ بالإيمان يكون سعيداً وبالكفر يدخل في شقاء أبدي. هذا عبر سلسلة من التحليلات الدقيقة بأدلة تحقق في إنسان (أحسن تقويم) وتدخل الآخر في "أسفل سافلين".

وذلك من خلال قصص جميلة يطابق فيها الواقع بالخيال، عبر تلاحق الأفكار وتزاحم الترابط بحيث لا تجد فيها لا هنا ولا في الذي سبقه ثغرة تتقدم منها إلى التهذيب أو الاختصار المخل.

- المفسرون السابقون على جلاله قدرهم وكثافة علومهم، لم يركزوا كثيراً وجوهرياً على معاني القرآن واكتشاف جوانب من كنوره ومعارفه، وإنما شغلوا بإخراج الأدلة لتأييد مذاهبهم. فالتفاسير كانت ساحة واسعة لعرض أفكارهم واستعراض علومهم عبر استطرادات مملّة، أي أنهم أخضعوا القرآن الكريم إلى مصطلحات علوم زمانهم التي تعلموها، فبدل أن يوحد تفسير القرآن الأمة عبر التاريخ صار من دون أن يشعر هؤلاء الأجلاء سبباً لتمزقها وتفرقها عبر الخلافات المذهبية والصراعات الفلسفية والكلامية، بل والسياسية أيضاً، فضلاً عن الصدامات الدموية.

- عصر الإمام النورسي اختلف اختلافاً جوهرياً عن العصور السابقة، فعصور المفسرين السابقين لم تكن عصور فقدان الإيمان وترك الشرائع والأخلاق الإسلامية. وإنما كان الصراع داخل المجتمع الإسلامي سياسياً بين الأحزاب وعربياً بين القبائل القيسية والعدنانية وقومياً بين العرب والفرس أو بين العرب والترك وغيرها من التراجعات عن وحدة الأمة التي رسخها القرآن الكريم.

بينما الصراع في زمن النورسي كان بين الإيمان والكفر الطاغي، لأن المسلمين بدأوا بالانسلاخ من منظومة الحضارة الإسلامية إلى منظومة الحضارة الغربية الطاغية في الحياة العقيدية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها. فمن هنا كانت الحاجة الماسة إلى انقاذ الإيمان بمنهج قرآني شامل. فتوجه الإمام النورسي إلى القرآن وحده، مقروءاً أو منظوراً و ناطقاً، وقاده ذكاؤه الحاد وعبقريته الفذة وذوبانه الشعوري الغامر إلى استدعاء أنوار تجليات اسماء الله الحسنی وإدارة الصراع والحركة من خلالها عبر تحليلاته العميقة، وكان نتيجتها رسائله النورانية المباركة التي أيقظت أمة عظيمة في داخل تركيا، وستؤثر هذه الرسائل تأثيراً عالمياً واسعاً بإذن الله تعالى إذا تمت ترجمتها إلى اللغات الحية.

الخاتمة:

وبعد فإن هذه الرسائل القرآنية الربانية النورانية الموجهة إلى كيان الإنسان، مسلمين أو غيرهم ما زالت تحوي بين ثناياها كثيراً من الأسرار الإلهية والتطبيقات القرآنية التي ألهم الله تعالى عبده الصالح النورسي سواء في جانب العمق العقيدي والفكري أم في الجانب السوقي (الاستراتيجي) أم في جانب منهج الدعوة (التكتيكي) التي لم تكتشف تماماً على الرغم من عشرات الدراسات العلمية حولها في المؤتمرات العالمية التي أقامها تلامذته الأوفياء من طلبة النور سواء في تركيا أم في بلدان أخرى.

وفي رأبي أن الماضي في الترجمة سيفتح المجال أمام الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين في العالم من استخراج الكنوز الماثورة في رسائل الإمام سعيد النورسي رحمه الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

¹ الشعاع الرابع ص ٨٩.

² الكلمات: الكلمة العشرون، المقام الثاني ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣.